رسالة إلى كل مريض

من رسائل النور : سعيد النورسي

اللمعة الـخامسة والعشرون وهي خـمسة وعشرون دواء

هي عيادة للمريض، وبلسم للمرضـى ومرهم تسلية لهم، ووصفة معنوية، وقد كتبت بـمثابة القول الـمأثور: ((ذهب البأس وحـمداً لله على السلامة))

تبنيـه واعتذار

تـم تأليف هذه الوصفة الـمعنوية بسرعة تفوق جـميع ما كتبناه[1] ولضيق الوقت كان تصحيحها وتدقيقها – بـخلاف الـجميع – بنظرة خاطفة في غاية السرعة كتأليفها، فظلت مشوشة كالـمسودة الاولى، ولـم نَرَ حاجة للقيام بتدقيقات جديدة، حيث ان الـخواطر التي ترد القلب فطرياً ينبغي عدم افسادها بزخرف القول والتفنن والتدقيق، فالرجاء من القراء وبـخاصة الـمرضى منهم الاّ يضجروا من العبارات غير الـمأنوسة والـجمل الصعبة وان يدعوا لي بظهر الغيب.

سعيد النورسي

بِسمِ اللهِ الرَّحـمنِ الرَّحيمِ

{**الذينَ اذا أصابَتهُم مُصيبَةٌ قالوا إنا للهِ وإنا إليهِ راجعون**) }البقرة: 156

{**والذين هُوَ يُطعِمُني ويَسقينِ ` واذا مَرِضتُ فهوَ يَشْفين**) } الشعراء: 79-80

((في هذه اللمعة نبين خـمسة وعشرين دواءً بياناً مـجملاً ، تلك الادوية التي يـمكن ان تكون تسلية حقيقية ومرهماً نافعاً لاهل البلاء والـمصائب وللمرضى العليلين الذين هم عُشر اقسام البشرية))

الدواء الاول

ايها الـمريض العاجز! لا تقلق، اصبر! فان مرضك ليس علّة لك بل هو نوع من الدواء؛ ذلك لان العمر رأس مال يتلاشى، فان لـم يُستثمر فيسضيع كل شيء، وبـخاصة اذا انقضى بالراحة والغفلة وهو يـحث الـخطى الى نهايته، فالـمرض يكسب رأس مالك الـمذكور أرباحاً طائلة، ولا يسمح بـمضيّه سريعاً، فهو يُبطىء خطوات العمر، ويـمسكه، ويطوّله، حتى يؤتي ثـماره، ثـم يغدو الى شأنه. وقد ذهب طول العمر بالامراض مثلاً، فقيل)) :**ألا ما أطول زمن النوائب وما اقصر زمن الـهناء.((!**

الدواء الثاني

ايها المريض النافد الصبر! تحمّل بالصبر! بل تجمّل بالشكر، فان مرضك هذا يمكنه ان يجعل من دقائق عمرك في حكم ساعات من العبادة، ذلك لان العبادة قسمان:

الاولى :العبادة الايجابية المتجسّدة في اقامة الصلاة والدعاء وامثالها.

الثانية :العبادة السلبية التي يتضرع فيها المصاب ملتجأ الى خالقه الرحيم مستجيراً به متوسلاً اليه، منطلقاً من احاسيسه التي تُشعره بعجزه وضعفه امام تلك الامراض والمصائب. فينال بذلك التضرع عبادةً معنوية خالصة متجردة من كل انواع الرياء.

نعم، هناك روايات صحيحة على ان العمر الممزوج بالمرض والسقم يعدّ للمؤمن عبادة [1]على شرط عدم الشكوى من الله سبحانه. بل هو ثابت بعدة روايات صحيحة وكشفيات صادقة كون دقيقة واحدة من مرض قسم من الشاكرين الصابرين هي بحكم ساعة عبادة كاملة لهم، وكون دقيقة منه لقسم من الكاملين هي بمثابة يوم عبادة كاملة لهم. فلا تشكُ – يا اخي – من مرض يجعل من دقيقة عصيبة عليك الف دقيقة ويمدك بعمر طويل مديد! بل كن شاكراً له.

الدواء الثالث

ايها المريض الذي لا يطيق! ان الانسان لم يأت الى هذه الدنيا للتمتع والتلذذ. والشاهد على ذلك: رحيل كل آت، وتشيّب الشباب، وتدحرج الجميع في دوّامة الزوال والفراق. وبينا ترى الانسان اكمل الاحياء واسماها واغناها اجهزة بل هو السيد عليها جميعاً، اذا به بالتفكر في لذات الماضي وبلايا المستقبل، يقضي حياته في كدر ومشقة هاوياً بنفسه الى دركات ادنى من الحيوان.

فالانسان اذاً لم يأت الى هذه الدنيا لقضاء عيش ناعم جميل مغمور بنسمات الراحة والصفاء، بل جاء الى هنا ليغنم سعادة حياةٍ ابدية دائمة بما يُسّر له من سبل التجارة برأس ماله العظيم الذي هو العمر. فاذا انعدم المرضُ، وقع الانسان في الغفلة نتيجة الصحة والعافية، وبدت الدنيا في عينيه حلوة خضرة لذيذة، فيصيبه عندئذ مرضُ نسيان الآخرة، فيرغب عن ذكر الموت والقبر، ويهدر رأس مال عمره الثمين هباءً منثورا.. في حين ان المرض سرعان ما يوقظه مفتحاً عينيه، قائلاً له: **((انت لست خالداً ولست سائباً، بل انت مسخّر لوظيفة، دع عنك الغرور، اذكر خالقك.. واعلم بانك ماض الى القبر، وهيىء نفسك وجهّزها هكذا)).**

فالمرض اذاً يقوم بدور مرشد ناصح امين موقظ، فلا داعي بعدُ الى الشكوى منه، بل يجب التفيّؤ في ظلال الشكر – من هذه الناحية – واذا ما اشتدت وطأته كثيراً فعليك بطلب الصبر منه تعالى.

الدواء الرابع

ايها المريض الشاكي! اعلم انه ليس لك حق في الشكوى، بل عليك الشكر، عليك الصبر؛ لان وجودك واعضاءك واجهزتك ليست بملكك انت، فانت لم تصنعها بنفسك، وانت لم تبتعها من اية شركة او

مصنع ابتياعاً، فهي اذن ملكٌ لآخر. ومالك تلك الاشياء يتصرف في ملكه كيف يشاء، كما ورد ذلك في مثال في ((الكلمة السادسة والعشرين الخاصة بالقَدَر)) وهو:

أن صانعاً ثرياً ماهراً بكلّف رجلاً فقيراً لقاء اجرة معينة ليقوم له لمدة ساعة بدور ((الموديل)) النموذج. فلاجل اظهار صنعته الجميلة وثروته القيمة يُلبسه القميص المزركش الذي حاكه، والحلة القشيبة المرصعة التي نسجها في غاية الجمال والصنعة، وينجز عليه اعمالاً ويظهر اوضاعاً واشكالاً شتى لبيان خوارق صنعته وبدائع مهارته، فيقصّ ويبدل، ويطوّل، ويقصر، وهكذا..

فيا تُرى أيحق لذلك الفقير الاجير ان يقول لذلك الصانع الماهر: ((انك تتعبني وترهقني وتضيّق عليّ بطلبك مني الانحناء مرة والاعتدال اخرى.. وانك تشوّه الجمال المتألق على هذا القميص الذي يجمّل هندامي ويزيّن قامتي بقصّك وتقصيرك له.. إنك تظلمني ولا تنصفني؟.((

وكذلك الحال بالنسبة للصانع الجليل سبحانه وتعالى – ولله المثل الاعلى – الذي البسك ايها المريض قميص الجسد، واودع فيه الحواس النورانية المرصعة كالعين والاذن والعقل، فلأجل اظهار نقوش اسمائه الحسنى، يبدّلك ضمن حالات متنوعة ويضعك في اوضاع مختلفة. فكما انك تتعرف على اسمه ((الرزاق)) بتجرعك مرارة الجوع، تتعرف على اسمه)) **الشافي** ((بمرضك.

ونظراً لظهور قسم من احكام اسمائه الحسنى بالآلام وانكشافه بالمصائب، ففيها لمعات الحكمة وشعاعات الرحمة وأنوار الجمال. فاذا ما رُفع الحجاب فستجد فيما وراء مرضك الذي تستوحش منه وتنفر، معاني عميقة جميلة محببة ترتاح اليها، تلك التي كانت تنزوي خلف حجاب المرض.

الدواء الخامس

ايها المبتلى بالمرض! لقد توافرت لديّ القناعة التامة خلال تجربتي في هذا الزمان، بان المرض نوع من الاحسان الإلهي والهدية الرحمانية لقسم من الناس .[1]فقد التقاني بعضُ الشباب في هذه السنوات الثماني او التسع، لمعاناتهم المرض، ابتغاء دعاء لهم، رغم اني لست اهلاً لذلك. فلاحظت أن مَن كان منهم يعاني مرضاً هو اكثر تفكراً في الآخرة وتذكراً لها، وليس ثملاً بغفلة الشباب، بل كان يقي نفسه – الى حدّ ما – تحت اوجاع المرض وأوصابه ويحافظ عليها من الشهوات الحيوانية. وكنت اذكّرهم بأني ارى أن أمراضهم هذه، ضمن قابليتهم على الحمّل انما هي احسان إلهي وهبة منه سبحانه. وكنت اقول: ((ياخي ! انا لست ضد مرضك هذا ولاعليه، فلا اشعر بشفقة عليك ورأفة لاجل مرضك، كي اقوم بالدعاء لك، فحاول التجمل بالصبر والثبات امام هذا المرض، حتى تتحقق لك الافاقة والصحوة؛ إذ بعد أن ينهي المرض مهامه سيشفيك الخالق الرحيم ان شاء)). وكنت اقول ايضاً: ((ان قسماً من امثالك يزعزعون حياتهم الابدية بل يهدمونها مقابل متاع ظاهري لساعة من حياة دنيوية، وذلك لمضيّهم سادرين في الغفلة الناشئة من بلاء الصحة، هاجرين الصلاة ناسين الموت وغافلين عن الله عز وجل. اما انت فترى بعين المرض القبرَ الذي هو منزلك الذي لا مناص من الذهاب اليه، وترى كذلك ما وراءه من المنازل الاخروية الاخرى، ومن ثم تتحرك وتتصرف على وفق ذلك. فمرضك اذاً انما هو بمثابة صحةٍ لك، والصحة التي يتمتع بها قسم من امثالك انما هي بمثابة مرضٍ لهم.((

الدواء السادس

ايها المريض الشاكي من الالم! أسألك أن تعيد في نفسك ما مضى من عمرك وان تتذكر الايام الهانئة اللذيذة السابقة من ذلك العمر والاوقات العصيبة والاليمة التي فيه.

فلا جرم انك ستنطق لساناً أو قلباً: إما بـ((أوه)) او ((آه)). أي اما ستتنفس الصعداء وتقول: ((الحمد لله والشكر له)) او ستتنهد عميقاً قائلاً: ((واحسرتاه!. واسفاه!)). فانظر كيف ان الآلام والنوائب التي عانيت منها سابقاً عندما خَطَرتْ بذهنك غمرتك بلذة معنوية، حتى هاج قلبك بـ((الحمد لله والشكر له))؛ ذلك لان زوال الالم يولّد لذة وشعوراً بالفرح. ولان تلك الآلام والمصائب قد غَرست بزوالها لذةً كامنة في الروح سالت بتخطرها على البال وخروجها من مكمنها حلاوةً وسروراً وتقطرت حمداً وشكراً. اما حالات اللذة والصفاء التي قضيتها والتي تنفث عليها الآن دخان الالم بقولك: ((واأسفاه، واحسرتاه)) فانها بزوالها غَرست في روحك ألماً مضمراً دائمياً، وها هو ذا الالم تتجدّد غصّاتُه الآن بأقل تفكرٍ في غياب تلك اللذات، فتنهمر دموع الاسف والحسرة. فما دامت اللذة غير المشروعة ليوم واحد تذيق الانسان – احياناً – ألماً معنوياً طوال سنة كاملة، وان الالم الناتج من يوم مرض موقت يوفر لذة معنوية لثواب ايام عدة فضلاً عن اللذة المعنوية النابعة من الخلاص منه، فتذكر جيداً نتيجة المرض الموقت الذي تعانيه وفكّر في الثواب المرجو المنتشر في ثناياه، وتشبث بالشكر وترفّع عن الشكوى وقل: ((ياهذا.. كل حالٍ يزول.((..

الدواء السادس[1]

ايها الاخ المضطرب من المرض بتذكر اذواق الدنيا ولذائذها! لوكانت هذه الدنيا دائمة فعلاً، ولو انزاح الموت عن طريقنا فعلاً، ولو انقطعت اعاصير الفراق والزوال عن الهبوب بعد الآن، ولو تفرغ المستقبل العاصف بالنوائب عن مواسم الشتاء المعنوية، لانخرطتُ في صفك ولرثيتك باكياً لحالك. ولكن مادامت الدنيا ستخرجنا منها قائلة: ((هيا اخرجوا..!)) صامّة اذانها عن صراخنا واستنجادنا. فعلينا نحن قبل ان تطردنا هي نابذة لنا، ان نهجر عشقها والاخلاد اليها من الآن، بايقاظات الامراض والسعي لاجل التخلي عن الدنيا قلباً ووجداناً قبل ان تتخلى هي عنّا.

نعم، ان المرض بتذكيره ايانا هذا المعنى اللطيف والعميق، يهمس في سرائر قلوبنا قائلاً:

((بنيتك ليست من الصلب والحديد بل من مواد متباينة مركبة فيك، ملائمة كل التلاؤم للتحلل والتفسخ والتفرق حالاً، دع عنك الغرور وادرك عجزك وتعرّف على مالكك، وافهم ما وظيفتك وتعلّم ما الحكمة والغاية من مجيئك الى الدنيا؟.))

ثم ما دامت ان اذواق الدنيا ولذاتها لاتدوم، وبخاصة اذا كانت غير مشروعة، بل تبعث في النفس الالم وتكسبه ذنباً وجريرة، فلا تبك على فقدك ذلك الذوق بحجة المرض، بل تفكّر في معنى العبادة المعنوية التي يتضمنها مرضك والثواب الاخروي الذي يخفيه لك، واسع لتنال ذلك الذوق الخالص الزكي.

1- نظرا لورود هذه اللمعة فطريا دون تكلف وتعمد، فقد كتبت في المرتبة السادسة دواءان، وإحجاما عن الاقحام في فطريتها، فقد تركناها كما هي ولم نجرؤ على تبديل شيء منها خوفا من وجود سر في المسألة.-المؤلف.

الدواء السابع

ايها المريض الفاقد لنعمة الصحة! ان مرضك لا يذهب بلذة النعمة الإلـهية في الصحة بل على العكس، انه يذيقك أيّاها ويطيّبها ويزيدها لذة، ذلك ان شيئاً ما اذا دام واستمر على حاله يفقد طعمه وتأثيره. حتى اتفق أهل الحق على القول: ((انما الاشياء تُعرف بأضدادها..)) فمثلاً: لولا الظلمة لما عُرف النور ولظل دون لذة، ولولا البرودة لما عُرفت الحرارة ولبقيت دون استساغة، ولولا الجوع لما اعطى الاكل لذته وطعمه، ولولا حرارة المعدة لما وَهَبنا احتساء الماء ذوقاً، ولولا العلّة لكانت العافية بلا ذوق، ولولا المرض لباتت الصحة عديمة اللذة.

ان الفاطر الحكيم لمّا اراد اشعار الانسان واحساسه مختلف احسانه واذاقته انواع نَعمه سوقاً منه الى الشكر الدائم، جهّزه بأجهزة في غاية الكثرة لتُقبل على تذوق تلك آلآلاف المؤلفة من انواع النعم المختلفة، لذا فلابد من انه سيُنزل الامراضَ والاسقام والعلل ايضاً مثلما يُلطف ويرزق بالصحة والعافية.

واسألك: ((لو لم يكن هذا المرض الذي اصاب رأسك او يدك او معدتك.. هل كان يمقدورك ان تتحسس اللذة الكامنة في الصحة التي كانت باسطة ظلالها على رأسك او يدك او معدتك؟ وهل كنت تتمكن ان تتذوق وتشكر النعمة الإلـهية التي جسّدتها تلك النعمة؟ بل كان الغالب عليك النسيان بدلاً من الشكر، او لكنت تصرف تلك الصحة بطغيان الغفلة الى سفاهة دون شعور.((!

الدواء الثامن

ايها المريض الذاكر لآخرته! ان مرضك كمفعول الصابون، يطهّر ادرانك، ويمسح عنك ذنوبك، وينقيك من خطاياك. فقد ثبت أن الامراض كفّارات للذنوب والمعاصي، وورد في الحديث الصحيح:

))ما من مسلم يصيبه اذىً الاّ حاتّ الله خطاياه كما تحاتّ ورق الشجر [1]((والذنوب هي امراض دائمة في الحياة الابدية. وهي في هذه الحياة الدنيا امراضٌ معنوية في القلب والوجدان والروح. فاذا كنت صابراً لا تشكو نجوت بنفسك اذاً بهذا المرض العابر من امراض دائمة كثيرة جداً. واذا كنت لاهياً عن ذنوبك، ناسياً آخرتك غافلاً عن ربك، فاني أؤكد معاناتك من داءٍ خطير، هو أخطر وأفتك واكبر بمليون مرة من هذه الامراض المؤقتة، ففرّ منه واصرخ.. ! لان قلبك وروحك ونفسك كلها مرتبطة بموجودات الدنيا قاطبة، وان تلك الاواصر تنقطع دوماً بسيوف الفراق والزوال فاتحة فيك جروحاً عميقة، وبخاصة انك تتخيل الموت اعداماً ابدياً لعدم معرفتك بالآخرة. فكأن لك كياناً مريضاً ذا جروح وشروخ بحجم الدنيا، مما يحتم عليك قبل كل شيء ان تبحث عن العلاج التام والشفاء الحقيقي لكيانك المعنوي الكبير الذي تفسّخه العلل غير المحدودة والكلوم غير المعدودة، فما اظنك تجدها الاّ في علاج الإيمان وبلسمه الشافي، واعلم ان اقصر طريق لبلوغ ذلك العلاج هو الاطلال من نافذتي ((العجز والفقر)) اللتين تتفتحان بتمزيق المرض المادي لحجاب الغفلة واللتين جُبلَ الانسان عليهما، وبالتالي تبلغ معرفة قدرة القادر ذي الجلال ورحمته الواسعة.

نعم ان الذي لا يعرف الله يحمل فوق رأسه هموماً وبلايا بسعة الدنيا وما فيها، ولكن الذي عرف ربه تمتلىء دنياه نوراً وسروراً معنوياً، وهو يشعر بذلك بما لديه من قوة الإيمان – كل حسب درجته – نعم ان ألم الامراض المادية الجزئية يذوب وينسحق تحت وابل السرور المعنوي والشفاء اللذيذ القادمين من الإيمان.

الدواء التاسع

ايها المريض المؤمن بخالقه! ان سبب التألم من الامراض والخوف والفزع منها ينبع من كون المرض احياناً وسيلة للموت والهلاك، ولكون الموت – بنظر الغفلة – مرعباً مخيفاً ظاهراً، فان الامراض التي يمكن ان تكون وسائل له، تبعث على القلق والاضطراب. فاعلم:

اولاً: آمن قطعاً:

ان الاجل مقدّر لا يتغيّر. فقد حدث ان مات اولئك الباكون عند المحتضرين في مرضهم. مع انهم كانوا يتمتعون بصحة وعافية، وشفي اولئك المرضى الذين كانت حالتهم خطرة وعاشوا بعد ذلك احياءً يرزقون.

ثانيا:

ان الموت ليس مخيفاً في ذاته، كما يبدو لنا في صورته الظاهرية، وقد اثبتنا في رسائل كثيرة اثباتاً قاطعاً – دون ان يترك شكاً ولا شبهة – بموحيات نور القرآن الكريم.

أن الموت للمؤمن اعفاء وانهاء من كلفة وظيفة الحياة ومشقتها.. وهو تسريح من العبودية التي هي تعليم وتدريب في ميدان ابتلاء الدنيا.. وهو باب وصال لالتقاء تسعة وتسعين من الاحبة والخلاّن الراحلين الى العالم الآخر.. وهو وسيلة للدخول في رحاب الوطن الحقيقي والمقام الابدي للسعادة الخالدة.. وهو دعوة للانتقال من زنزانه الدنيا الى بساتين الجنة وحدائقها.. وهو الفرصة الواجبة لتسلم الاجرة ازاء الخدمة المؤداة، تلك الاجرة التي تغدق سخية من خزينة فضل الخالق الرحيم.

فما دامت هذه هي ماهية الموت – من زاوية الحقيقة – فلا ينبغي ان يُنظر اليه كأنه شيء مخيف، بل يجب اعتباره تباشير الرحمة والسعادة. حتى أن قسماً من ((اهل الله)) لم يكن خوفهم من الموت بسبب وحشة الموت ودهشته، وانما بسبب رغبتهم في كسب المزيد من الخير والحسنات بادامة وظيفة الحياة.

نعم ان الموت لاهل الإيمان باب الرحمة. وهو لاهل الضلالة بئر مظلمة ظلاماً ابدياً.

الدواء العاشر

ايها المريض القلق دون داع للقلق! انت قلقٌ من وطأة المرض وشدته، فقلقك هذا يزيد ثقل المرض عليك. فاذا كنت تريد ان تخفف المرض عنك، فاسع جاهداً للابتعاد عن القلق. أي: تفكّر في فوائد المرض، وفي ثوابه، وفي حثه الخطى الى الشفاء. فاجتث جذور القلق من نفسك لتجتث المرض من جذوره.

نعم، ان القلق (او الوسوسة) يضاعف مرضك ويجعله مرضين. لان القلق يبث في القلب – تحت وطأة المرض المادي – مرضاً معنوياً، فيدوم المرض المادي مستنداً اليه، فاذا ما أذهبتَ عنك القلق والهواجس بتسليم الامر لله والرضا بقضائه، وباستحضار حكمة المرض، فان مرشك المادي سيفقد فرعاً مهماً من جذوره فيُخفف، وقسمٌ منه يزول، واذا ما رافقت المرض المادي اوهام وهواجس فقد يكبر

عشر معشار تلك الاوهام بوساطة القلق الى معشار، ولكن بانقطاع القلق يزول تسعٌ من عشرة من مفعول ذلك المرض، وكما ان القلق يزيد المرض، كذلك يجعل المريض كأنه يتهم الحكمة الإلهية وينتقد الرحمة الإلهية ويشكو من خالقه الرحيم، لذا يؤدَّب المريض بلطمات التأديب – بخلاف ما يقصده هو – مما يزيد مرضه. اذ كما ان الشكر يزيد النعم فالشكوى كذلك تزيد المرض والمصيبة. هذا وان القلق في حد ذاته مرض، وعلاجه انما هو في معرفة حكمة المرض. واذا ما عرفت حكمته وفائدته، فامسح قلقك بذلك المرهم وانج بنفسك وقل بدلاً من ((واآسفاه)): ((الحمد لله على كل حال.((

الدواء الحادي عشر

ايها الاخ المريض النافذ صبره! مع ان المرض يعطيك ألماً حاضراً فهو يمنحك في الوقت نفسه لذة معنوية مستدرة من زوال مرضك السابق، مع لذةٍ روحية نابعة من الثواب الحاصل من جراء ذلك المرض. فالزمان القابل بعد اليوم، بل بعد هذه الساعة لا يحمل مرضاً. ولاشك أن لا ألمٍ من غير شيء، وما لم يكن هناك ألمٌ فلا توجّع ولا شكوى. ولكن لانك تتوهم توهماً خطأً فان الجوع ينتابك، اذ مع زوال فترة المرض المادي قد ذاب ألم تلك الفترة ايضاً وثبت ثواب المرض وبقيت لذة زواله.. فمن البلاهة بل من الجنون ان تتذكر بعد الآن المرض السابق وتتألم منه، فتفقد صبرك وتنفده، في حين بلزمك الانشراح بذهابه والارتياح بثوابه. اما الايام القابلة فانها لم تأت بعد. أليس من البلاهة إشغال النفس من الآن بالتفكير في يوم لم يولد بعد، وفي مرض لم ينزل بعد وفي الم لم يقع بعد؟. فهذا النوع من التوهم – نتيجة التفكر المرير وتكليف النفس ألماً مبرحاً - يدفع الى فقدان الصبر ويُصبغ ثلاثة انواع من العدم بثلاث مراتب من الوجود. أليس هذا جنوناً؟. فما دامت أزمنة المرض التي سبقت هذه الساعة تبعث على النشوة والحبور، وما دام الزمان القابل بعد هذه الساعة معدوماً، فالمرض معدوم والالم معدوم.

فلا تبذّر يا اخي ما وهب لك الحق سبحانه وتعالى من قوة الصبر يميناً وشمالاً. بل احشدها جميعاً مقابل الالم الذي يعتريك في هذه الساعة وقل)) :**ياصبور** ((وتحمل صابراً محتسباً...!

الدواء الثاني عشر

ايها المريض المحروم من العبادة واورادها بسبب المرض! ويا ايها الآسف على ذلك الحرمان! اعلم انه ثابت في الحديث الشريف [1]ما معناه: ان المؤمن التقي يأتيه ثواب ما كان يؤديه من العبادة حتى في اثناء مرضه، فالمرض لا يمنع ثوابه. فان المريض المؤدي للفرائض – على قدر استطاعته – سينيب المرض عن سائر السنن ويحل محلّها اثناء شدة المرض إنابة خالصة، لما يتجمل ذلك المريض بالصبر والتوكل والقيام بالفرائض، وكذا يشعر المرضُ الانسان بعجزه وضعفه، فيتضرع المريض بذلك العجز وذلك الضعف بالدعاء حالاً وقولاً. وما اودع الله سبحانه وتعالى في الانسان عجزاً غير محدود وضعفاً غير متناه الا ليلتجيء دائماً الى الحضرة الإلهية بالدعاء سائلا راجياً، حيث ان الحكمة من خلق الانسان والسبب الاساس لأهميته هو الدعاء الخالص بمضمون الآية الكريمة:

{**قُل مَا يَعبَؤا بِكُم رَبّي لَولا دُعاؤكُم**) } الفرقان:77) ولكون المرض سبباً للدعاء الخالص، فلا تصح الشكوى منه، بل يجب الشكر لله؛ اذ لا ينبغي ان تُجَفّف ينابيع الدعاء التي فجّرها المرض عند كسب العافية.

الدواء الثالث عشر

ايها المسكين الشاكي من المرض! ان المرض يغدو كنزاً عظيماً لبعض الناس، وهدية إلهية ثمينة لهم. وباستطاعة كل مريض ان يتصور مرضه من هذا النوع، حيث ان الحكمة الإلهية اقتضت ان يكون الاجلُ مجهولاً وقته، انقاذاً للانسان من اليأس المطلق ومن الغفلة المطلقة، وابقاءاً له بين الخوف والرجاء، حفظاً لدنياه وآخرته من السقوط في هاوية الخسران.. أي أن الاجل متوقع مجيئه كل حين، فإن تمكّن من الانسان وهو سادر غفلته يكبّده خسائر فادحة في حياته الاخروية الابدية. فالمرض يبدد تلك الغفلة ويشتتها، وبالتالي يذكّر بالآخرة ويستحضر الموت في الذهن فيتأهب له. بل يحدث ان يربّحه ربحاً عظيماً، فيفوز خلال عشرين يوماً ما قد يستعصي استحصاله خلال عشرين سنة كاملة. فعلى سبيل المثال:

كان هناك فَتَيان – يرحمهما الله – احدهما يدعى ((صبري)) من قرية ((إيلاما)) والآخر ((مصطفى وزير زادة)) من ((اسلام كوي)) ورغم كونهما أُميين من بين طلابي، فقد كنتُ الحظُ باعجاب موقعَهما في الصف الاول في الوفاء والصدق وفي خدمة الإيمان، فلم ادرك حكمة ذلك في حينها، ولكن بعد وفاتهما علمت انهما كانا يعانيان من داءين عضالين، وبارشاد من ذلك المرض اصبحا على تقوى عظيمة يسعيان في خدمة راقية، وفي وضع نافع لآخرتهما، على خلاف سائر الشباب الغافلين الساهين حتى عن فرائضهم. فنسأل الله أن تكون سنتا المرض والمعاناة اللتان قضياهما في الحياة الدنيا قد تحولتا الى ملايين السنين من سعادة الحياة الابدية.

والآن فقط أفهم أنّ دعائي لهما بالشفاء قد اصبح دعاء عليهما من زاوية الدنيا، ولكن ارجو الله ان يكون دعائي مستجاباً لصحتهما الاخروية.

وهكذا استطاع هذان الشخصان – حسب اعتقادي – الحصول على ربح يساوي الكسب الذي يحققه الانسان بالسعي والتقوى لعشر سنين في الاقل[1]، فلو كانا متباهيين بصحتهما كبعض الشباب وسائقين لنفسيهما الى شراك الغفلة والسفاهة حتى يأتيهما الموت المترصد، وهما يتخبطان في اوحال الخطايا وظلماتها، لكان قبراهما الان حجور العقارب والافاعي بدلاً من كونهما الآن دفائن النور وكنوز البهجة.

فما دامت الامراض تحمل في مضامينها هذه المنافع الكبيرة فلا يجوز الشكوى منها، بل يجب الاعتماد على الرحمة الإلهية بالتوكل والصبر بل بالحمد والشكر.

الدواء الرابع عشر

ايها المريض المسدل على عينيه! اذا ادركت ان هناك نوراً، واي نور! وعيناً معنوية تحت ذلك الحجاب المسدل على أعين أهل الإيمان، فستقول)) :**شكراً والف شكر لربي الرحيم** .((وتوضيحاً لهذا المرهم سأورد الحادثة الآتية:

لقد اصيبت عمة ((سليمان)) وهو من ((بارلا)) الذي ظل يخدمني دون أن يملّني يوماً او يضيق مني بشيء طوال ثماني سنوات خدمة مقرونة بكمال الوفاء والاحترام... اصيبت هذه المسكينة بالعمى فانطفأ نور عينها، ولفرط حسن ظن تلك المرأة الصالحة بي اكثر مما استحق بكثير تشبثت بي وانا اغادر المسجد قائلة: ((بالله عليك ادع الله لي من اجل عيني))، وانا بدوري جعلت صلاح تلك المرأة المباركة المؤمنة قريباً وشفيعاً لدعائي فدعوت الله بتضرع وتوسل قائلاً: ((اللهم ياربنا بحرمة صلاحها اكشف عن بصرها)). وفي اليوم التالي جاء طبيب من ولاية ((بوردور)) القريبة، وهو مختص بالعيون،

فعالـجها، فردّ الله عليها بصرها، وبعد اربعين يوماً عادت عينها الى حالتها الاولى، فتألمت لذلك كثيراً ودعوت دعاءً كثيراً، وارجو ان يكون دعائي مستجاباً على حساب آخرتها والاّ فان دعائي ذلك سيصبح - خطأ- دعاءً عليها، حيث قد بقيت لتستوفي اجلـها اربعين يوماً فقط، اذ بعد اربعين يوماً مضت الى رحـمة الله.

وهكذا، فان حرمان هذه الـمرأة الـمرجوة لـها الرحـمة من نعمة النظر ببصر الشيخوخة العطوف والاستمتاع بـجمال الـحدائق الـحزينة لـ((بارلا)) واسدال الـحجاب بينها وبين الـمروج اللطيفة خلال اربعين يوماً، قد عوض عنها الآن في قبرها، إطلالـها على الـجنة ومشاهدة ألفاف حدائقها الـخضراء لاربعة آلاف يوم و يوم.. ذلك لان أيـمانها كان راسخاً عميقاً وصلاحها كان مشعاً عظيماً.

نعم ان الـمؤمن اذا ما أُسدل على عينيه حجاب ودخل القبر هكذا، فانه يستطيع ان يشاهد عالم النور – حسب درجته – بنظر اوسع من نظر اهل القبور. اذ كما اننا نرى بعيوننا اكثر الاشياء في هذه الدنيا، والـمؤمنون العميان لا يستطيعون رؤيتها، ففي القبر ايضاً سيرى اولئك العميان – بتلك الدرجة – ان كانوا اصحاب ايـمان – اكثر مـما يراه اهل القبور، وسيشاهدون بساتين الـجنة ونعيمها كأنهم مزوّدون بـمراصد – كل حسب درجته – تلتقط مناظر الـجنة الرائعة وتعرضها كالشاشة السينمائية امام اعين اولئك الـمكفوفين الذين حرموا من نور ابصارهم في الدنيا.

فبامكانك ايها الاخ الـحصول على هذه العين النورانية التي تكشف عن الـجنة فيما فوق السموات العلى وانت بعدُ تـحت الثرى، وذلك بالصبر والشكر على ذلك الـحجاب الـمسدل على عينيك، واعلم ان الـحكيم الـمختص بالعين والقادر على رفع ذلك الـحجاب عن عينيك لترى بتلك العين النورانية، انـما هو القرآن الـحكيم.

الدواء الـخامس عشر

ايها الـمريض الـمتأوه بالانين! لاتتأوه ابداً ولا تئن ناظراً الى صورة الـمرض القبيحة الـمذمومة، بل انظر الى معناه وفـحواه وانبسط قائلاً: الـحمد لله.

فلو لـم يكن معنى الـمرض شيئاً جـميلاً لـما كان الـخالق الرحيم يبتلي احبّ احبائه من عباده بالامراض والاسقام، فقد جاء في الـحديث الشريف)) :**أشدّ الناس بلاءً الانبياء ثـم الاولياء، ثـم الامثل فالامثل** [1]((او كما قال. ويقف في مقدمة الـمبتلين النبي الصابر ايوب عليه السلام، ثـم الانبياء الباقون عليهم السلام، ثـم الاولياء ثـم الصالـحون. وقد تلقوا جـميعاً تلك الامراض التي قاسوها عبادة خالصة وهدية رحـمانية، فأدوا الشكر من خلال الصبر، وكانوا يرونها نوعاً من العمليات الـجراحية تـمنح لـهم من لدن الرحـمن الرحيم.

فانت ايها الـمريض الـمتأوه الـمتألـم! إن كنت تروم الالتحاق بهذه القافلة النورانية، فأد الشكر في ثنايا الصبر، والاّ فان شكواك ستجعلهم يـحجمون عن ضمّك الى قافلتهم، وستهوي بنفسك في هوة الغافلين! وستسلك درباً تـخيم عليه الظلمات.

نعم، هناك امراض اذا اعقبتها الـمنية، يكلل صاحبها شهادة معنوية تـحرزه مقام الولاية لله، وهي تلك الامراض التي تتمخض عن الولادة [2]وغصص البطن، والغرق والـحرق والطاعون، فهذه الامراض اذا مات بها صاحبها فانه سيرتفع الى درجة الشهيد الـمعنوي، فهناك امراض كثيرة ذات بركة تكسب صاحبها درجة الولاية بالـموت الذي تنتهي به، ولـما كان الـمرض يـخفف من شدة حب الدنيا وغلوائها

ومن عشقها والعلاقة الشديدة بـها فهو يـخفف كذلك الفراق الاليم والـمرّلاهل الدنيا وهـم يغادرونـها بالـموت بل قد يحببه اليهم.

الدواء السادس عشر

ايها الـمريض الشاكي من الضجر! ان الـمرض يلقّن صاحبه اهم عرى الـحياة الاجتماعية والانسانية واجمل اواصرها وهما الاحترام والـمحبة، لانه ينقذ الانسان من الاستغناء عن الآخرين، ذلك الاستغناء الذي يسوق الى الوحشة ويـجرد الانسان من الرحـمة، لانه يتبيتّن من الآية الكريـمة { **إنَ الانسانَ ليطغى ` أن رآهُ استغنى)** } العلق:6-7) ان النفس الامارة الواقعة في شباك الاستغناء – الناجـم عن الصحة والعافية – لن تشعر بالاحترام اللائق تـجاه العلاقات الاخوية، ولن تـحس بالرحـمة والرأفة بالـمبتلين يالـمصائب والامراض الـجديرين بالرحـمة والعطف، ولكن متى ما انتاب الانسان الـمرض وادرك مدى عجزه، ومدى فقره، تـحت ضغوط الـمرض وآلامه واثقاله فانه يشعر بالاحترام باشقائه الـمؤمنين اللائقين بالاحترام الذين يقومون برعايته، او الذين يأتون لعيادته، ويشعر كذلك بالرأفة الانسانية وهي خصلة إسلامية تـجاه اهل الـمصائب والبلايا – قياساً على نفسه – فتفيض من قلبه الرحـمة والرأفة بكل معناهما تـجاههم، وتضطرم عنده الشفقة حارة ازاءهم، واذا استطاع قدّم لـهم يد العون، وان يقدر عليه شرع بالدعاء لـهم، او بزيارتهم والاستفسار عن راحتهم واحوالـهم مؤدياً بذلك سنةً مشروعة كاسباً ثوابها العظيم.

الدواء السابع عشر

ايها الـمريض الشاكي من العجز عن القيام باعمال البر! كن شاكراً! فاني ابشرك: بان الذي يفتح ابواب اخلص الـخيرات، انـما هو الـمرض نفسه، فالـمرض فضلاً عن انه يورث ثواباً مستمراً للـمريض وللذين يرعونه لله، فهو يـمثل اهم وسيلة لقبول الدعاء.

نعم، ان رعاية الـمرضى تـجلب لاهل الإيـمان ثواباً عظيماً، وان زيارتهم والسؤال عن صحتهم وراحتهم بشرط عدم تنغيصهم لـهي من السنة الشريفة[1]، وهي كفارة للذنوب في الوقت نفسه. وقد ورد حديث بهذا الـمعنى: اطلبوا دعاء الـمريض فدعاؤه مستجاب[2]، وبـخاصة اذا كان الـمريض من الاقربين، وبـخاصة اذا كان والداً او والده، فان خدمتهما هي عبادة مهمة وهي مثوبة كبرى ايضاً. وان تطمين افئدة الـمرضى وبث السلوان في قلوبهم، يعتبر بـحكم صَدَقة مهمة. فما أسعد اولئك الابناء الذين يقومون برعاية آبائهم او أمهاتهم عند مرضهم ويدخلون البهجة في قلوبهم الرقيقة الـمرهفة فيفوزون بدعاء الوالدين لـهم.

نعم، ان الـحقيقة التي تستحق احتراماً اكثر ومكانة اسمى في الـحياة الاجتماعية هي شفقة الوالدين، وتعويض الابناء الطيبين لتلك الشفقة، بتوجيه الاحترام اللائق والعاطفة البارّة الزكية اليهما حينما يعانون من مرض. وهي لوحة وفية تظهر الوضع الـجيد للابناء وسمو الانسانية بـحيث تثير اعجاب كل الـمخلوقات حتى الـملائكة، فيحيّونها مهللين مكبرين وهاتفين: ((ماشاء الله، بارك الله.((

نعم ان العواطف والرأفة والرحـمة الـمحلقة حوالي الـمريض لتذيب ألـم الـمريض وتـحوله الى لذاتٍ حلوة مفرحة.

ان قبول دعاء المريض والاستجابة له مسالة مهمة جديرة بالاهتمام. فمنذ حوالي اربعين سنة كنت ادعو للشفاء من مرض في ظهري، ثم ادركتُ ان المرض انما يُمنح لاجل الدعاء، وكما ان الدعاء لا يرفع دعاء، أي ان الدعاء لعدم تمكنه من إزالة نفسه فان نتيجته أُخروية .[1]والدعاء بذاته نوع من العبادة، اذ يلتجيء المريض الى الملاذ الإلهي عند ادراكه لعجزه.

ولهذا فان عدم القبول الظاهري لدعوتي بالشفاء من مرضي طوال ثلاثين سنة لم يصرفني ابداً من ان افكر في يوم من الايام بتركه والتخلي عنه، ذلك لان المرض أوان الدعاء ووقته، والشفاء ليس نتيجة الدعاء بل اذا وهب الله سبحانه – وهو الحكيم الرحيم – الشفاء فانه يهبه من فضله وكرمه، وان عدم قبول الدعاء بالشكل الذي نريده لا يقودنا الى القول بأن الدعاء لم يُستَجب، فالخالق الحكيم يعلم افضل منا ونحن نجهل، وانه سبحانه يسوق الينا ما هو خير لنا وانفع، وانه يدّخر لنا الادعية الخاصة بدنيانا احياناً لتنفعنا في أُخرانا، وهكذا يقبل الدعاء. ومهما يكن فان الدعاء الذي اكتسب الاخلاص والنابع من سرّ المرض والآتي من الضعف والعجز والتذلل والاحتياج، قريبٌ جداً من القبول. والمرض اساس لمثل هذا الدعاء الخالص ومداره. فالمريض والذين يقومون برعايته من المؤمنين ينبغي ان يستفيدوا من هذا الدعاء.

الدواء الثامن عشر

ايها المريض التارك للشكر والمستسلم للشكوى!

ان الشكوى تكون نابعة من وجود حق يعود اليك، وانت لم يذهب حَقّكَ سدىً حتى تشكو، بل عليك حقوقٌ كثيرة لم تؤدّ بعدُ شكرها، انك لم تؤدّ حق الله عليك، وفوق ذلك تقوم بالشكوى بالباطل وكأنك على حق، فليس لك ان تشكو ناظراً الى مَن هو اعلى منك مرتبة من الاصحاء، بل عليك النظر – من زاوية الصحة – الى اولئك العاجزين من المرضى الذين هم ادنى منك درجة.

فانت مكلف اذاً بالشكر الجزيل. فاذا كانت يدُك مكسورةً فتأمل الايدي المبتورة ـ واذا كنت ذا عين واحدة فتأمل الفاقدين لكلتا العينين.. حتى تشكر الله سبحانه.

نعم، فليس لأحد في زاوية النعمة حق بمدّ البصر الى من هو فوقه، لتتأجج نار الشكوى المحرقة عنده، الاّ انه عند المصيبة يتحتم على المرء من زاوية المصيبة النظر الى من هو اشد منه مصيبة واعظم مرضاً ليشكر بعد ذلك قانعاً بما هو فيه. وقد وضح هذا السرّ في بعض الرسائل بمثال مقتضاه كالآتي:

))شخص يأخذ بيد مسكين ليُصعدهُ الى قمة منارة، ويهدي اليه في كل درجة من درجات المنارة هدية. واخيراً يختم تلك الهدايا بأعظم هدية يهبها له عند قمة المنارة. واذ كان المفروض على هذا المسكين ان يقدم الشكر والامتنان ازاء الهدايا المتنوعة، تراه يتناسى كل تلك الهدايا التي اخذها عند تلك الدرجات، او يعدّها غير ذات بال، فلا يشكر، رافعاً ببصره الى مَن هو اعلى منه شاكياً قائلاً: لو كانت هذه المنارة اعلى مما هي عليه، لأبلغ اعلى درجة من هذه الدرجات! لِمَ لم تصبح مثل ذلك الجبل الشاهق ارتفاعاً او المنارة المجاورة؟.((...

وهكذا اذا قام هذا الرجل بهذه الشكوى، فما اعظم ما يرتكبه من كفران بالنعمة وما اعظم ما يقترف من تجاوز على الحق!

وكذا حال الانسان الذي اتي الى الوجود من العدم ولـم يصبح حجراً ولاشجراً ولا حيواناً، بل كان انساناً مسلماً وقد تـمتع كثيراً بالصحة والعافية، ونال درجة من النعمة سامية... مع هذا يأتي هذا الانسان ويُظهر الشكوى من عدم تـمتعه بالصحة والعافية نتيجة بعض العوارض، او لاضاعته النِعَم بسوء اختياره، او من سوء الاستعمال، او لعجزه عن الوصول اليها، ثم يقول: ((ياويلتا ماذا جنيت حتى حلّ بي ما حلّ))، ناطقاً بـما يشيء بانتقاد للربوبية الإلـهية. فهذه الـحالة هي مرض معنوي ومصيبة اكبر من الـمرض الـمادي والـمصيبة التي هو فيها، فهو يزيد مرضه بالشكوى كمن يتصارع ويده مرضوضة. لكن العاقل يتمثل قوله تعالى { :**الذينَ اذا أصابَتهُم مُصيبَةٌ قالوا إنا للهِ وإنا إليهِ راجعون)** }البقرة:156) فيسلّم الامر لله صابراً حتى ينتهي ذلك الـمرض من اداء وظيفته ويـمضي الى شأنه.

الدواء التاسع عشر

ان التعبير الصمداني باطلاق ((الاسـماء الـحسنى)) على جـميع اسـماء الله الـجميل ذي الـجلال يدل على ان تلك الاسـماء جـميلة كلّها. وحيث ان الـحياة هي اجـمل مرآة صمدانية وألطفها واجـمعها في الـموجودات، وان مرآة الـجميل جـميلة ايضاً، وان الـمرآة التي تعكس مـحاسن الـجميل تصبح جـميلة ايضاً، وان كل شيء يصيب تلك الـمرآة من ذلك الـجميل هو جـميل كذلك، فكل ما يصيب الـحياة جـميل ايضاً من زاوية الـحقيقة؛ ذلك لانه يُظهر النقوش الـجميلة لتلك ((الاسـماء الـحسنى)) الـجميلة.

فلو مضت الـحياة بالصحة والعافية على نسق واحد، لاصبحت مرآة ناقصة، بل قد تُشعر – في جهة ما – بالعدم والعبث فتذيق العذاب والضيق، وتهبط قيمة الـحياة، وتنقلب لذة العمر وهناؤه الى ألـم وغصّة، فيلقي الانسان بنفسه إما الى اوحال السفاهة او الى اوكار اللهو والعربدة ليقضي وقته سريعاً، مَثَله كمثل الـمسجون الذي يعادي عمره الثمين ويقتله بسرعة، بغية انهاء مدة السجن. ولكن الـحياة التي تـمضي بالتـحولات والـحركة وتقضي اطواراً شتى فانها تُشعر ان لـها قيمة ووزناً وتنتج – هذه الـحياة – للعمر اهمية وتُكسبه لذة، حتى ان الانسان لا يرغب في ان يـمضي عمره، رغم ما يعانيه من اصناف الـمشاق والـمصائب ولا يتأوه ولا يتحسر قائلاً: ((أنـّى للشمس ان تغيب وأنـّى لليل أن ينجلي)).

نعم، ان شئت فاسأل شخصاً ثرياً عاطلاً، كل شيء عنده على مايرام. اسأله: كيف حالك؟ فستسمع منه حتماً عبارات أليمة وحسرة مثل: آه من هذا الوقت.. انه لا يـمرّ.. ألا تأتي لنبحث عن لـهو نقضي به الوقت.. هلم لنلعب النرد قليلاً..!. او تسمع شكاوى ناجـمة عن طول الامل مثل: ان أمري الفلاني ناقص.. ليتني افعل كذا وكذا.. اما اذا سألت فقيراً غارقاً في الـمصائب او عاملاً كادحاً: كيف حالك؟ فان كان رشيداً فسيقول لك: اني بـخير والـحمد لله وألف شكر لربي، فاني في سعي دائم.. ياحبذا لو لـم تغرب الشمس بسرعة لا قضي ما في يدي من عمل. فالوقت تـمر حثيثاً والعمر يـمضي دون توقف، ورغم اني منهمك في الواقع، الا أن هذا سيمضي ايضاً، فكل شيء يـحث خطاه على هذا الـمنوال..!. فهو بهذه الاقوال انـما يعبـّر عن قيمة العمر واهميته ضمن اسفه على العمر الذي يهرب منه، آسفاً على ذلك.. فهو يدرك اذاً ان لذة العمر وقيمة الـحياة بالكدّ والـمشقة، اما الراحة والدعة والصحة والعافية فهي تـجعل العمر مراً وتثقله بـحيث يتمنى الـمرء الـخلاص منه بسرعة.

ايها الاخ الـمريض! اعلم ان اصل الـمصائب والشرور بل حتى الذنوب انـما هو العدم كما اثبت ذلك اثباتاً قاطعاً ومفصلاً في سائر الرسائل، والعدم هو شرّ محض وظلمة تامة. فالتوقف والراحة والسكون على نسق واحد ووتيرة واحدة حالات قريبة جداً من العدم والعبث، ودنوّها هذا هو الذي يُشعر بالظلمة بالـموجودة في العدم ويورث ضجراً وضيقاً. اما الـحركة والتـحول فهما وجودان ويُشعران بالوجود، والوجود هو خيرٌ خالص ونور.

فما دامت الحقيقة هكذا، فان المرض فيك انما هو ضيف مُرسلٌ اليك ليؤدي وظائفه الكثيرة فهو يقوم بتصفية حياتك القيمة وتقويتها ويرتقي بها ويوجه سائر الاجهزة الانسانية الاخرى في جسدك الى معاونة ذلك العضو العليل ويبرز نقوش اسماء الصانع الحكيم، وسينتهي من وظيفته قريباً، ان شاء الله ويمضي الى شأنه مخاطباً العافية: تعالى الآن لتمكثي مكاني دائماً، وتراقبي اداء وظيفتك من جديد، فهذا مكانك تسلّميه واسكنيه هنيئاً.

الدواء العشرون

ايها المريض الباحث عن دوائه !اعلم ان المرض قسمان: قسم حقيقي وقسم آخر وهمي.

اما القسم الحقيقي: فقد جعل الشافي الحكيم الجليل جلّ وعلا لكل داءٍ دواءً، وخزَنَه في صيدليته الكبرى التي هي الكرة الارضية، فتلك الادوية تستدعي الادواء، وقد خلق سبحانه لكل داء دواء، فاستعمال العلاج وتناوله لغرض التداوي مشروع اصلاً. ولكن يجب العلم بأن الشفاء وتأثير الدواء لا يكونان الا من الحق تبارك وتعالى، فمثلما انه سبحانه يهب الدواء فهو ايضاً يهب الشفاء. وعلى المسلم الالتزام بارشاد الاطباء الحاذقين المسلمين وتوصياتهم. وهذا الامتثال علاج مهم؛ لان اكثر الامراض تتولد من سوء الاستعمال، وعدم الحمية، واهمال الارشاد، والاسراف، والذنوب، والذنوب، والسفاهة، وعدم الحذر. فالطبيب المتدين لاشك انه ينصح ضمن الدائرة المشروعة ويقدم وصاياه، ويحذر من سوء الاستعمال والاسراف ويبث في نفس المريض التسلية والامل، والمريض بدوره اعتماداً على تلك الوصايا والسلوان يخفّ مرضه ويغمره الفرح بدلاً من الضيق والضجر.

اما القسم الوهمي من المرض: فان علاجه المؤثر الناجع هو: ((الاهمال)) اذ يكبر الوهم بالاهتمام وينتفش، وان لم يُعبأ به يصغر وينزوي ويتلاشى. فكما اذا تعرض الانسان لوكر الزنابير فانها تتجمع وتهجم عليه، وان لم يهتم تتفرق عنه وتتشتت.

وكما ان الذي يلاحق باهتمام خيالاً في الظلمات من حبلٍ متدلٍ، سيكبر امامه ذلك الخيال حتى قد يوصله الى الفرار كالمعتوه، واذا لم يهتم فسينكشف له ان ذلكً انما هو حبل وليس بثعبان.. ويبدأ بالسخرية من اضطراب ذهنه وتوهمه. فهذا المرض الوهمي كذلك اذا دام كثيراً فسينقلب الى مرض حقيقي، فالوهم عند مرهف الحس، عصبي المزاج مرض وبيل جداً، حيث يستهوله ويجعل له الحبة قبة، فتنهار قواه المعنوية، وبخاصة اذا صادف أنصاف الاطباء ذوي القلوب الغلاظ الخالية من الرحمة، او الاطباء غير المنصفين، الذين يثيرون اوهامه ويحركونها اكثر من ذي قبل حتى تذهب امواله وتنضب ان كان غنياً، او يفقد عقله او يخسر صحته تماماً.

الدواء الحادي والعشرون

ايها الاخ المريض! حقاً ان في مرضك الماً مادياً، الا أن لذة معنوية مهمة تحيط بك، تمحو كل آثار ذلك الالم المادي؛ لان ألمك المادي لايفوق تلك الرأفة او الشفقة اللذيذة التي نسيتها منذ الصغر، والتي تتفجر الآن من جديد في اكباد والديك واقاربك نحوك، ان كان لك والدان واقارب. حيث ستستعيد تلك العواطف والنظرات الابوية الحنونة الحلوة التي كانت تتوجه اليك في الطفولة، وينكشف الحجاب عن احبائك من حواليك ليرعوك من جديد وينطلقوا اليك بمحبتهم ورأفتهم بجاذبية المرض التي أثارت تلك العواطف الداخلية، فما أرخص تلك الآلام المادية التي تعاني منها امام ما يؤديه لك من خدمات جليلة ممزوجة

بالرحمة والرأفة بحكم مرضك اولئك الذين سعيتَ انت – بكل فخر – لخدمتهم ونيل رضاهم، فاصبحت بذلك سيداً وآمراً عليهم وفزت ايضاً بمرضك في كسب المزيد من الاحبة المعاونين والاخلاء المشفقين. فتضمهم اليك للرقة والرأفة الانسانية التي جُبل عليهما الانسان.

ثم انك قد اخذت بمرضك هذا اجازة من الوظائف الشاقة المهلكة، فأنت الآن في غنى عنها وفي راحة منها... فلا ينبغي ان يسوقك ألمك الجزئي الى الشكوى بل الى الشكر تجاه هذه اللذات المعنوية.

الدواء الثاني والعشرون

ايها الاخ المريض بداء عضال كالشلل! انني ابشّرك اولاً بأن الشلل يعدّ من الامراض المباركة للمؤمن.. لقد كنت اسمع هذا منذ مدة من الاولياء الصالحين فكنت اجهل سرّه، ويخطر الآن احد اسراره على قلبي هكذا:

ان اهل الولاية قد تعقبوا بارادتهم اساسين مهمين للوصول الى الحق تبارك وتعالى نجاة من اخطار معنوية عظيمة ترد من الدنيا وضمانا للسعادة الابدية. والاساسان :

اولهما: رابطة الموت، اي أنهم سعوا لاجل سعادتهم في الحياة الابدية بالتفكر ني فناء الدنيا وبأنهم ضيوف يستخدمون لوظائف مؤقتة.

وثانيهما: اماتة النفس الامارة بالسوء بالمجاهدات والرياضة الروحية لاجل الخلاص من مهالك تلك النفس، والاحاسيسا التي لاترى العقبى.

فيا اخي الذي فقد من كيانه نصف صحته، لقد أودع فيك دون اختيار منك اساسان قصيران سهلان، يمهدان لك السبيل الى سعادتك الابدية، ويذكرانك دائما بزوال الدنيا وفناء الانسان. فلا تتمكن الدنيا بعدئذ من حبس انفاسك وخنقك، ولاتجرؤ الغفلة على غشيان عيونك. فالنفس الامارة لاتتمكن بالشهوات الرذيلة ان تخدع من هو نصف انسان، فينجو من بلائها وشرها بسرعة. والمؤمن بسر الايمان والاستسلام والتوكل يستفيد من داء عضال كالشلل بأقصر وقت استفادة المجاهدين من اهل الولاية بالرياضة في المعتكفات، فيتضاءل عندئذ ذلك الداء ويسهل حمله.

الدواء الثالث والعشرون

ايها المريض الوحيد الغريب العاجز ان كانت غربتك وعدم وجود من يعيلك فضلا عن مرضك سبباً في لفت القلوب القاسية نحوك وامتلائها بالرقة عليك، فكيف بنظر رحمة خالقك الرحيم ذي التجليات الذي يقدم نفسه اليك في بدء سور القرآن بصفته الجليلة ((الرحمن الرحيم)) والذي يجعل جميع الامهات — بلمعة من لمعات شفقته ورأفته الخارقة - يقمن بتربية اولادهن. . والذي يملأ وجه الدنيا ويصبغه في كل ربيع بتجل من رحمته ويملأه بانواع نعمه وفضله .. وبتجل من رحمته كذلك تتجسم الجنة الزاخرة بكل محاسنها. فانتسابك اليه بالايمان والالتجاء اليه بلسان العجزالمنبعث من مرضك، ورجاؤك منه وتضرعك اليه يجعل من مرضك فى وحدتك وغربتك هدفا ووسيلة تجلب اليك نظر الرحمة منه سبحانه تلك النظرة التي تساوي كل شيئ٠
فما دام هو موجودا ينظر اليك فكل شئ موجود لك. والغريب حقا والوحيد أصلا هو ذلك الذي لاينتسب اليه بالايمان والتسليم، او لايرغب في ذلك الانتساب.

الدواء الرابع والعشرون

ايها الممرضون المعتنون بالاطفال المرضى الابرياء وبالشيوخ الذين هم بحكم الاطفال عجزا وضعفا! ان بين ايديكم تجارة اخروية مهمة، فاغتنموا تلك التجارة وليكن شوقكم اليها عظيما وسعيكم حثيثاً. ان امراض الاطفال الابرياء هي حقنات تربية ربانية لاجسادهم الرقيقة للاعتياد عليها وترويضهم بها لمقاومة مشقات الحياة في المستقبل، وهي تحمل حكما وفوائد تعود عليهم في حياتهم الدنيوية وفي حياتهم الروحية، فتصغي حياة الصغار تصفية معنوية مثلما تصفى حياة الكبار بكفارة الذنوب. فهذه الحقن اسس للرقي المعنوي ومداره في مستقبل اولئك الصغار او في آخرتهم.

والثواب الحاصل ض مثل هذه الامراض يدرج في صحيفة اعمال الوالدين او في صحيفة حسنات الوالدة التي تفضل صحة ولدها - بسرالشفقة - على نفسها، كما هوثابت لدى اهل الحقيقة.

أما رعاية الشيوخ والاعتناء بهم، فضلا عن كونه مدارا لثواب عظيم وبخاصة الوالدين والظفر بدعائهم واسعاد قلوبهم والقيام بخدمتهم بوفاء واخلاص، يقرد صاحبه الى سعادة الدنيا والآخرة، كما هر ثابت بروايات صحيحة وفي حوادث تأريخية كثيرة ٠ فالولد السعيد البار بوالديه العاجرين سيرى الطاعة نفسها من ابنائه، بينما الولد العاق المؤذي لأبويه مع ارتداده الى العذاب الاخروي سيجد كذلك في الدنيا مهالك كثيرة ٠

نعم انه ليست رعاية الشيوخ والعجائز والابرياء من الاقربين وحدهم، بل حتى اذا صادف المؤمن شيخاً مريضاً ذا حاجة جديراً بالاحترام فعليه القيام بخدمته بهمة واخلاص، ما دامت هنالك اخوة ايمانية حقيقية وهذا مما يقتضيه الاسلام.

الدواء الخامس والعشرون

ايها الاخوان المرضى ! اذا كنتم تشعرون بحاجة الى علاج قدسي نافع جدا، والى دواء لكل داء يحوي لذة حقيقية، فمدوا ايمانكم بالقوة واصقلوه، اي تناولوا بالتوبة والاستغفار والصلاة والعبادة العلاج القدسي المتمثل في الايمان ٠

نعم، ان الغافلين بسبب حبهم للدنيا والتعلق بها بشدة كأنهم قد اصبحوا يملكون كيانا معنويا عليلا بحجم الدنيا كلها، فيتقدم الايمان ويقدم لهذا الكيان العليل المكلوم بضربات الزوال والفراق، مرهم شفائه منقذا إياه من تلك الجروح والشروخ، وقد أثبتنا في رسائل عدة بأن الايمان يهب شفاءا حقيقيا، وتجنبا للاطالة أوجز قولي بما يأتي:-

ان علاج الايمان يتبين تأثيره بأداء الفرائض ومراعاة تنفيذها ما استطاع الانسان اليها سبيلا، وان الغفلة والسفاهة وهوى النفس واللهو غيرالمشروع يبطل مفعول ذلك العلاج وتأثيره.

فما دام المرض يزيل الغشاوة، ويقطع دابر الاشتهاء، ويمنع ولوج اللذات غير المشروعة، فاستفيدوا منه واستعملوا علاج الايمان الحقيقي وأنواره القدسية بالتوبة والاستغفار والدعاء والرجاء.. منحكم الحق تبارك وتعالى الشفاء وجعل من امراضكم مكفرات للذنوب ..آمين ..آمين..آمين.

(وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولاأن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق)

(سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)

اللهم صل على سيدنا محمد، طب القلوب ودوائها، وعافية الابدان وشفائها، ونور الابصار وضيائها، وعلى آله وصحبه وسلم.

- ذيل اللمعة الخامسة والعشرين وهو ((المكتوب السابع عشر)) ادرج ضمن المكتوبات .